العدد (1874) السنة الثامنة - الثلاثاء (10) آب 2010 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

بغداد / سها الشيخلي
تصوير / احمد عبد الله

صف مسائي

ثمة رغبة في التواصل على مقاعد الدراسة، تلح على من تركها لاسباب قاهرة، وقد يجر الندم على عدم مواصلة دراسة البعض، الى الا نخراط في التعليم المسائي، لاغراض شخصية بحتة، خاصة بعد انتعاش رواتب موظفي الدولة، وظهور سلم الدرجات الوظيفية الذي اعطى للشهادة الاهمية في تسلقه، ولكن هل طموح الدارسين من اجل الحصول على الشهادة فقط؟ ام لزيادة المعرفة؟ في ظل تدهور المستوى التعليمي الصباحي فكيف الامر بالدراسة المسائية؟ سنحاول في هذا التحقيق الاجابة الشافية قدر الامكان عن هذه الاسئلة..

الدراسة المسائية وحلم الوصول الى الجامعة

مدير عام التعليم المسائي والأهلي: طالب المسائية يبحث عن الشهادة فقط

واقع التعليم

شهد واقع التعليم المسائي منذ عقود التهميش والاهمال، واستقطبت الحروب العديد من الكوادر التعليمية، ما اثر سلبا على مجمل التطورات، التي من المفروض ان تطرأ على العملية التربوية، حتى بات المستوى التعليمي المسائي لمراحل الدراسة الثلاث متدنيا الى درجة كبيرة، اضافة الى الحصار الاقتصادي الذي رزح تحت اعبائه العديد من شرائح المجتمع العراقي، ما ارغم الاسر الفقيرة على تشغيل الاولاد في سوح العمل وترك الدراسة، كما ان طاحونة الحرب قد غيبت الكثير من ارباب الاسر ما جعل العائلة مضطرة الى تشغيل الاولاد وترك مقاعد الدراسة، ثم العودة الى الدراسة عن طريق المدارس المسائية،ومع كل ذلك بعض الدارسين استطاع اكمال الدراسات العليا بعد الحصول على الشهادة الاعدادية، واشغال مناصب عليا بعد ذلك.

حديث صريح لمدير المدرسة

يحدثنا مدير احدى المدارس الثانوية، الذي رفض ذكر اسمه قائلا:

تتحدد المدارس المسائية للدراسة الثانوية للفرع الادبي فقط، وتبدأ من الصف الاول المتوسط الى نهاية الدراسة الاعدادية، اما عن شروط العمر فهو (مفتوح) لكنه في بعض الاحيان يتحدد بعمر (١٥-٥٥ سنة) ومن الطبيعي ان تغيب الاعمار المتقدمة عن الدراسة، لصعوبة التلقي، ويتراوح عدد الطلبة في كل صف بين ١٥-٥٠ طالبا، وعن اجور الدراسة اشار المدير الى ان الدراسة المتوسطة اجورها (٦٠) الف دينار، الاعدادية اجورها (٧٥) الف دينار، وهناك اجور خاصة للامتحانات قدرها (٥و٣) آلاف دينار وهي قليلة لا تسد صرفيات المدرسة واحتياجاتها، لان المدارس المسائية تعمل بنظام التمويل الذاتي، وان منحة وزارة التربية والبالغة مليون دينار، تدفع على قسطين، ونقوم بسد احتياجات المدرسة من هذا المبلغ، علما ان الكتب والقرطاسية لا تصلنا لا في الوقت المحدد ولا بالكمية المحددة، ما يجعل اغلب الطلاب (يعتمدون على انفسهم). وعن اجور المحاضرات يشير المديرانها تصرف من قبل الوزارة، وهي الاخرى، قليلة ولا ترتقي الى الجهد المبذول من قبل المحاضر، حيث تتحدد بالف ونصف دينار للدراسة المتوسطة، والفي دينار للدراسة الاعدادية، ومع قلة تلك الاجورفهي دائمة التاخير، الامر الذي يجعل المحاضرين متذمرين، ما ينعكس سلبا على الدراسة بصورة عامة، اما اوقات الدوام فهي تبدأ من الساعة الثالثة مساءا الى الساعة الخامسة، وعن تعرض بعض اساتذة الدراسة المسائية الى بعض المضايقات واحيانا الضرب من قبل الطلاب، اكد المدير ان اغلب الدارسين هم من اعمار متقدمة ولا يتصرفون الا بحكمة ودراية، واما ما تعرض له احد المدرسين للدراسة المسائية الى الضرب من قبل الطلبة فالامر لا يقاس على انه ظاهرة، فالكثير من مدرسي ومعلمي الدراسة الصباحية يتعرضون الى المضايقات من قبل الطلاب، الامر يعود الى سوء تفاهم ناجم عن عدم ضبط النفس، وهذا بحد ذاته يعود الى تربية واخلاق الابناء ووعي الاسرة باصول التربية السليمة واحترام الغير، وعن مستوى الدراسة المسائية ونظرة البعض اليها من انها دون المستوى المطلوب، اوضح المدير ان الدراسة بصورة عامة تعاني الاهمال وعدم المتابعة من قبل وزارة التربية فكيف تريدين ان تكون الدراسة المسائية جيدة؟ لكني أؤكد لك ان بعض الدارسين الذين تركوا مقاعد الدراسة وعادوا اليها، كانت العودة موفقة، ذلك ان اغلبهم انما ترك الدراسة تحت ظروف قاسية، اما لكسب الرزق او التعيين في دوائر الدولة بدرجة دنيا لسوء الاحوال الاقتصادية، وعند توقفه في درجة محدودة من سلم الدرجات اراد العودة لمواصلة الدراسة، لكي يحقق طموحه في احراز درجة وظيفية اعلى، وهذا امر جيد ولا غبار عليه، كما ان البكلوريا للدراستين هي (الفلتر) الذي يخضع له جميع الطلبة سواء كانوا في المدارس الصباحية او المسائية، وعن مستوى المدرسين اوضح المدير ان علة المدرسين واحدة في الدراستين ايضا وان على وزارة التربية اذا ارادت الارتقاء بمستوى التعليم ان تولي المدرس والمعلم اهتماما كبيرا باقامة الدورات التاهيلية سواء كانت تلك الدورات داخل العراق او خارجه.

دروس الرياضيات والانكليزي

وعند الحديث عن ضعف عام يشكو منه طلبه الدراسة المسائية وخاصة لدرسي اللغة الانكليزية ودرس الرياضيات، اشار المديرالى ان اغلب مدارس العراق سواء كانت صباحية او مسائية، يعاني طلبتها من ضعف عام في هاتين المادتين والاسباب يمكن اختصارها على النحو التالي:

بالنسبة الى مادة اللغة الانكليزية فالضعف في المنهج اولا ثم في المدرس وبعدها الطالب،اما السبب فاقول لك: المنهج لم يراع المرحلة العمرية في المدارس الابتدائية فقد كان يعطى لطلبة الصف الخامس الابتدائي والان يعطى لطلبة الصف الثالث الابتدائي، وهو منهج خال من التبسيط ومكثف ومرهق وقد وضع بعيدا عن اجراء المسوح والاحصائيات التي تؤكد النسبة الكبيرة للرسوب في هذه المادة فليس من المهم دراسة قواعد اللغة الانكليزية (الكرمر) بل الاهم هو كيفية النطق والمحادثة التي تعتمد الحوارات، كما ان تدرج المرحلة والعبور من صف الى اخرلم تراع امكانية استيعاب الطالب في الصباحي، اما مدرس او معلم اللغة الانكليزية فهو الاخر بحاجة الى دورات تدريبية والى السفر الى دول ناطقة باللغة الانكليزية لكي يتمرن على الحديث بشكل سليم بلغة اخرى غير اللغة العربية، ثم اعود الى التلميذ لنجده نفسيا لا يطيق اللغة الانكليزية ربما لصعوبتها، فتعلم اية لغة ليس بالامر الهين مطلقا، وامر اخر ربما كان اهم من كل ما ذكرنا هو ان اساس التلميذ في اللغة الانكليزية في البداية ضعيفا، وقد احرز درجات النجاح وهي (على الحافة) بالغش او بمساعده المعلم، وهذا ما يجعله ضعيف الى نهاية كل المراحل، كما ان مدارسنا تفتقر الى مختبرات صوتية لتعلم النطق للحرف او الكلمة، ونعود الى الرياضيات فاقول ان هذه المادة لا تلاقي القبول عند الكثير من الطلبة، وهناك ردود افعال واضحة من تقبلها وتربويا اقول ان بعض الاطفال لديهم عزوف من مواد معينة، فمثلا بعضهم لا يميل الى اللغات او لا يميل الى لغة الارقام، وقد تكون موهبته واستعداده الذهني محصور في الفن او الرسم او الموسيقى فيجد الصعوبة في الاندماج بلغة الارقام لانها ترهقه.

اما عن عدم وجود فروع علمية للدراسة المسائية، ضحك المدير وقال: نحن بالكاد نسير الامور في الدراسة الادبية كونها تعتمد الحفظ، فكيف سيكون الامر في الدراسة العلمية وهي التي تحتاج الى مختبرات واجهزة ومواد مختبرية ملحقة.

قد يحبط الانسان لكن..

قال الطالب في الدراسة المسائية، غزوان عبد الحميد في المرحلة الخامسة الفرع الادبي(٢٥) سنة، والذي يعمل كاتبا في الادارة (صادرة وواردة) في احدى المديريات، تركت الدراسة وانا في الصف الرابع العام بعد تفجير طال بيتنا في الدورة، استشهد على اثرها كل افراد العائلة، حدث ذلك عام ٢٠٠٥، وكنت مسافرا الى بيت شقيقتي في محافظة نينوى، كان الحادث قد هزني من الاعماق وبقيت اتعالج من اثرالصدمة النفسية، وما ان شفيت، حتى عزمت على مواصلة الحياة بروح من التحدي والاصرار، فمن فلسفتي في الحياة ان اقاوم الحزن ولا انكسر بسهولة مهما كانت الاحداث التي تمر في حياتي (قد يحبط الانسان لكن عليه ان لا ينهزم)، وبعد ان انقضت فترة اكثر من سنة، وقفت من جديد على قدمي وانخرطت في العمل، وتوظفت كاتبا بسيطا في احدى الدوائر بمساعدة احد الاقارب، ولكن طموحي في مواصلة الدراسة كان كبيرا بعد ان وجدت ان سلم الرواتب لا يفتح امام الشهادة المتوسطة التي عملت بها، ان رغبتي تجددت في مواصلة الدرس لازيد من ثقافتي واحصل على المعرفة، ولم اجد سوى الدراسة المسائية سبيلا لاكمال الدراسة الاعدادية،ولي رغبة في مواصلة الدرس والتحصيل حتى بعد الحصول على البلكلوريوس، اما عن مستوى التعليم المسائي فاقول لك ان البكلوريا للدراسة الاعدادية هي الفيصل في النهاية، ما دامت المناهج نفسها في الدراستين الصباحية والمسائية، ويرى الطالب غزوان ان الطموح في اكمال الدراسة هاجس يراود الكثير من طلبة الدراسة المسائية، والا ما انخرطوا في الدراسة، بخلاف بعض طلبة الدراسة الصباحية الذين يحضرون الى المدرسة على مضض، ذلك لتلبية رغبات الاهل، ويذكر غزوان ان بعض اساتذة الجامعة، كانوا من طلبة الدراسة المسائية.

أساتذة كانوا طلبة مسائي

والتقينا الدكتور (....) والذي كان قبل سنوات قليلة رئيسا لاحدى جامعات العراق، حيث قال:

رغبة الطالب في مواصلة الدراسة والاجتهاد في عبورها هي المعيار الاول لتفوقه، اما مستوى الدراسة ونوع التدريس فمع اهميته لا يشكل عائقا، بوجه الدارسين وعندما اقول ذلك لانني مررت بالتجربة نفسها فانا من عائلة فقيرة والابن الوحيد للاسرة بين مجموعة من البنات، ما اضطرني الامر الى ترك الدراسة الصباحية لادير دكان والدي في الصباح والذهاب الى الشورجة للتسوق، وفي المساء اذهب الى المدرسة المتوسطة القريبة من بيتنا، واستطعت اكمال الدراسة الاعدادية وكنت الاول على العراق في الفرع الادبي لذلك العام، ثم ذهبت الى الخارج لاكمال دراستي الماجستير والدكتوراه.

ويشير رئيس الجامعة السابق ان هناك العديد من خيرة الاساتذة كانوا قد تلقوا الدراسة في المدارس المسائية.

الفساد الإداري والمالي

وقال الطالب عبد الوهاب احمد احد طلبة الدراسة المسائية في بغداد، ان الدراسة المسائية لا تخلو من تعاطي الرشوة ومن الفساد الاداري، حيث يدخل الى الامتحانات النهائية كل الطلبة تقريبا، بخلاف ما معمول به في الدراسة الصباحية التي لا تخلو هي ايضا من وجود فساد مالي واداري، الا انها بنسبة اقل من المسائي، ربما كان التساهل هو اعطاء فرصة خوض الامتحانات لاكبر عدد ممكن من الطلبة، ولكن هناك حقيقة هي ان الذي يرشي المدير لكي يدخل البكلوريا، يستطيع، او هو مصمم على ان يرشي ايضا مراقبي القاعات لكي تتم مساعدته عند الامتحان بالرد في القاعة، او حتى استبدال الدفاتر، ويواصل الطالب عبد الوهاب الحديث عن مدير احدى المدارس الذي ياخذ الرشوة من الطلاب، لكن عند أحالته الى لجنة تحقيقية اتضح عدم وجود الادلة ضده، وقد عاد الى العمل، وهو لا يتوانى عن اعادة العمل بالرشوة ايضا.

ظهير ومنافس

التقينا مدير عام التعليم المسائي والاهلي، الاستاذ صادق جعفر سلوم للحديث عن اهمية ان تولي وزارة التربية الاهتمام الكبير بالدراسة المسائية، والذي بدأ حديثه بالقول:

الدراسة المسائية هي ظهير ومنافس للدراسة الصباحية، علاوة على انها ضرورة اجتماعية، لاعتبارات خاصة فقد يحرم الطالب من ترك الدراسة الصباحية لظرف طارىء، لكن الدراسة المسائية تعيد له الامل في مواصلة الدراسة، وعن اجور الدراسة اشار الاستاذ سلوم الى انها لحد الان اجور رمزية، مع العلم ان الوزارة تدعم التعليم المسائي بمبالغ كبيرة جدا، تشمل كل رواتب المدرسين والمعلمين وهي ضخمة بالتأكيد بعد الزيادة التي طرأت على رواتب موظفي الدولة، اضافة الى اجور المحاضرات، واغلب الكوادر العاملة من مدرسين ومعلمين هم من الخريجين الجدد ويعملون باجور المحاضرات لحين تعيينهم، كما نقوم بدفع جميع احتياجات المعهد او المدرسة من قرطاسية واثاث ومولدات.

اما الاجور فهي كالاتي:

الدراسة الابتدائية اجورها ٣٠ الف دينار
الدراسة المتوسطة اجورها ٦٠ الف دينار
الدراسة الاعدادية اجورها ٧٥ الف دينار

اما عن عدد الطلبة للدراسة المسائية في بغداد وبقية المحافظات ما عدا اقليم كردستان للعام الدراسي ٢٠٠٩-٢٠١٠ فهي كالاتي:

الدراسة الابتدائية فيها ١٣٤٣ طالبا، الدراسة المتوسطة وتضم ٤٨١٤٧ طالبا، الدراسة الاعدادية وفيها ٦٨٨٨٠ طالبا.

وعن اعداد المدارس في بغداد والمحافظات فهي: المدارس الثانوية ٢٠٠ مدرسة، المدارس الاعدادية ٢٧ مدرسة، المدارس المتوسطة ١٣٥ مدرسة. للعام الدراسي ٢٠٠٩ – ٢٠١٠

مستوى الدراسة

وعن مستوى التدريس في المدارس المسائية كونه لا يرتقي الى نظيره في المدارس الصباحية، اشار الاستاذ جعفر الى ان ذلك صحيح، ذلك ان طلبة المدارس المسائية، هم من موظفي الدولة، ومن الشرطة، وهؤلاء لديهم وقت محدد للدراسة، وعند حضورهم لا يكونون بكامل حيويتهم ونشاطهم، كونهم متعبين من الاعمال المكلفين بها. فمثلا ما معروف عن المدارس المسائية كثرة الغيابات، ومرد ذلك الى الخفارات المكلف بها بعض الدارسين، او للاعباء الوظيفية الاخرى،ولدينا فريق عمل يزور المدارس بشكل منتظم مكون من ١٥ عضوا من درجة مدير قسم واعلى درجة، لتأشير السلبيات في المدارس المسائية ومنها انتظام الدوام، اما عن اسباب تدني المستوى فمرده الى الطالب بالدرجة الاولى فاذا كان الطالب قد جاء من اجل الحصول على الشهادة فقط فهو لا يبالي بكل شيء، ولا ينصرف لزيادة معرفته بل جاء من اجل غرض معين هو كما قلت الشهادة، الاسباب الاخرى المدرس الذي لا يجد الحرص والمتابعة من قبل التلميذ سيكون هو الاخر مهملا، كما ان هناك عوامل اجتماعية وسياسية ركزت ذلك التدني، وهذه العوامل مرت بمراحل مختلفة، فمثلا النظام السابق زج العراق بحروب لا طائل منها، وخسرنا كوادر تدريسية كبيرة، كما ان تدني المستوى المعيش وقلة الرواتب جعلت المدرس لا يبالي بالمستوى العلمي، والان الرواتب جيدة، الا ان الوضع السياسي مضطرب ما يؤثر على سير الدراسة بكل مراحلها، الوزارة تعاني من جملة مشاكل منها عدم وجود مبان مدرسية، واغلب المدارس في المحافظات مزدوجة الدوام، والمشكلة الاخرى هي التخصيصات المالية، فليس لدينا تمويل مالي كاف للدراسة المسائية، وارداتنا من اجور الدراسة لا تزيد على ٦ مليارات دينارفقط، في حين نحتاج الى ١٤-١٦ مليار دينارلصرف الرواتب واجور المحاضرات، صحيح تفتقر المدارس المسائية الى اللوازم والتجهيزات ولكن لدينا عجز مالي كبير، وعندما نخاطب رئاسة الوزراء لتخصيص مبالغ لنا يكون الرد انكم تمويل ذاتي ويجب ان تتصرفوا وفق ذلك التمويل، نحن لا نستطيع رفع الاجور، كما لا نستطيع تقليل الرواتب واجور المحافظات، والحل الوحيد هو خروجنا من نظام التمويل الذاتي.

اما عن ظاهرة الرشوة في المدارس المسائية، فقد اشار الاستاذ سلوم الى ان مدير المدرسة الذي ورد اسمه ومكان واسم مدرسته، قد احيل الى لجنة التحقيق، ولكن لم ينل العقاب لعدم ثبوت الادلة عليه، كما ان طبيعة الطالب المسائي هي (مصلحية ونفعية) همه الحصول على الشهادة فقط، واكد سلوم ان هناك لجنة المراقبة والمتابعة في ديوان المديرية تقوم بزيارة المدارس اثناء الامتحانات، فاذا وجدت خرقا للنظام يتم تاليف لجنة لاتخاذ الاجراءات اللازمة، وهناك ايضاالمديرية العامة للاشراف التربوي التي تتعاون معنا لخدمة ومراقبة التعليم المسائي من خلال خطة نضعها معا للاشراف على جميع مفاصل التعليم المسائي، ونقوم بدفع اجورلاعضاء اللجنة عند زيارتهم للمدارس المسائية.

التمويل الذاتي

واثناء الحديث مع الاستاذ سلوم ورده كتاب عن وجوب دفع مبلغ ١٢٩ مليون دينار الى محافظة (...) كاجورمحاضرات ورواتب ملاك التعليم المسائي لشهر تموز فقط، واشار سلوم الى ان مصروفات الشهر تقدر ب من ٢-٥و٢ مليار دينار لدفعها لبقية المحافظات، لذا صار على المديرية الخيار بين:

اما زيادة اجور الطلبة او الخروج من التمويل الذاتي الى التمويل المركزي او غلق الدراسة المسائية بعد فشلها.

ويؤكد الاستاذ سلوم ان المديرية قدمت طلبا الى رئاسة الوزراء بخصوص الخروج من التمويل الذاتي فكان الجواب الرفض، اما العجز المالي فهو بحدود ١٠ مليارات دينار على الوزارة ان تتحمله، او في الاقل دفع الرواتب واجور المحاضرات، ومع كل ما تقدم لدينا مدارس مسائية قد احرزت نسبا عالية من النجاح في الامتحانات النهائية (البكلوريا) لهذا العام وللعام الماضي.

مدرسة مسائية